Cours de **Philosophie**, Tale A. S : 2014/2015

GS la Résidence, Casablanca

مجزوءة "الوضع البشري" :

**الغير**

**تقديم:**

 رأينا في تقديم المجزوءة أن وجود الإنسان هو في جوهره "وجود مع الغير" Etre-avec-autrui. لكن، ما هو الغير؟ لابد أن نميز، قبل كل شيء، بين الغير Autrui وبين الآخرAutre ؛ فالآخر هو كل ما ليس الأنا، فهو إذن يشير إلى الإنسان وإلى غير الإنسان. أما الغير، فهو إنسان مثلي، أو هو "الأنا الآخر" كما يقول جون بول سارتر. لكن، إذا صح أن الغير هو "الأنا الآخر"، فما طبيعته؟ وماذا يمثل وجوده بالنسبة إلى وجود الأنا؟ وهل يمكن للأنا أن تعرفه؟ وما طبيعة هذه المعرفة؟ وعلى أي أساس تقوم العلاقة بين الأنا والغير؟ هل هي علاقة سلبية أم إيجابية؟ وأيهما يعكس حقيقة العلاقة بين البشر: الصداقة والحب أم الصراع والعنف؟

**المحور الأول : وجود الغير**

**1.1- الإشكال:**

* إذا صح أن الغير هو "الأنا الآخر"، فما طبيعته؟
* وماذا يمثل وجود الغير بالنسبة إلى وجود الأنا؟

**2.1- الأطاريح:**

1.2.1- **أطروحة** **روني** **ديكارت**René Descartes (1596-1650) : ينتقد ديكارت جميع الآراء التي ترى أن "الأنا المفكرة" في حاجة إلى الغير من أجل إدراك وفهم وجودها، فهي بالنسبة إليه قادرة على تحقيق ذلك بمعزل عن أية وساطة خارجية سواء أكانت إنسانية أم غير إنسانية. وآية ذلك أن جوهر النفس يكمن في أنها تفكر، إذ لو لم تكن تفكر لما كان بإمكانها أن تقيم تمييزا بينها وبين الجسد الذي يتميز بالامتدادExtension ؛ ويضاف إلى ذلك أن فسح المجال أمام قوة خارجية من شأنه أن يضع التفكير موضع شك، كما أنه يفضي إلى التشكيك في قدرات الذات ومؤهلاتها الفطرية الخاصة.

2.2.1**- أطروحة إدموند هوسرل** Edmund Husserl(1859-1938) : يرى الفيلسوف الألماني هوسرل أن الغير جزء لا يتجزأ من العالم الذي تدركه الذات، وأن لا مبرر للشك في وجوده، بل إن تجاهله يمثل نسفا للوعي الذي كونته الذات عن نفسها وعن العالم. وتظهر من خلال هذا التصور إحدى نتائج المنهج الفينومنولوجي [الظاهراتي]Méthode Phénoménologique الذي أسس له هوسرل، والذي لا يفصل الوعي عن موضوعه، ويعتبر أن "الوعي هو دائما وعي بشيء ما"، أو بعبارة أخرى: وعي قصديIntentionnelle ؛ فعوض الكوجيطو الديكارتي القائل: أنا أفكر، إذن فأنا موجود"، كان ينبغي القول حسب هوسرل: "عندما أفكر، فأنا أفكر في شيء ما".

3.2.1**-** **أطروحة** **جون بول سارتر** Jean-Paul Sartre (1905-1980) : ينطلق جون بول سارتر في من تلك المغايرة الأنطولوجية [الوجودية] للغير عن باقي الأشياء والموضوعات الخارجية. فالغير هو سلسلة من المشاعر والأفكار والإرادات المستقلة عني. إن الغير وفق هذا التصور هو "أنا آخر" أو "الأنا الذي ليس أنا"؛ إنه أنا مماثل لأناي، لكنه مختلف عني. إن بنية السلب أو النفي إذن أساسية في العلاقة مع الغير. بل تعتبر هذه البنية أساسية لوعي الذات بذاتها، لان الوعي لدى سارتر ليس وعيا ذاتيا فرديا كما هو لدى ديكارت، وإنما هو وعي له ارتباط وثيق بالغير. فالغير له حضور مهما حاولنا انتزاعه من شعورنا، فهو "الوسيط الذي لا غنى عنه بين أنا وبين نفسي " كما يقول سارتر، رغم أنه يقيد تصرفاتنا ويرصد حركاتنا، وبالتالي يحد من حريتنا.

4.2.1- **جيل دولوز** Gilles Deleuze (1925-1995): ينطلق جيل دولوز في معالجته لإشكال وجود الغير من أفق فلسفي مغاير لأفق الفلسفتين الديكارتية والوجودية، أي بعيدا عن فلسفات الذات والوعي؛ فالغير في نظره لا يتحدد بالسلب أو المغايرة تجاه الأنا، فهو ليس مجرد ذات أو موضوع، بل هو قبل كل شيء عالم ممكنMonde Possible نجد تعبيراته في وجه ولغة من يعبر عنه. ان الغير بهذا المعنى ذو ثلاثة مكونات: عالم ممكن، وجه قائم الوجود، لغة أو كلام واقعي.

**المحور الثاني : معرفة الغير**

**1.2- الإشكال:**

* هل يمكن معرفة الغير؟
* وما طبيعة هذه المعرفة؟

**2.2- الأطاريح:**

**1.2.2-** **أطروحة** **نيكولا** **مالبرانش**Nicolas Malebranche (1638-1715) : يرى هذا الفيلسوف الفرنسي أن معرفة الغير مستحيلة. ويمكن تفسير ذلك، في نظره، بأن كل ما تستطيع الذات أن تعرفه عن الغير لا يبرح مظهره الخارجي؛ ولذلك كانت معرفة قائمة على الافتراض والتخمين، مما يدفع تلك الذات إلى إسقاط مشاعرها وأفكارها على الغير. إن درجة التفاهم المتبادلة بين الأفراد في ظروف معينة لا تعني بالضرورة أن معرفة بعضهم ببعض معرفة صحيحة. ففي حالات عديدة، يبدي شخص ما تضامنه مع شخص آخر نتيجة إحساسه بألمه، لكن السؤال المطروح هو: هل يملك ذلك الشخص نفس الإحساس الذي يشعر به المتألم؟

**2.2.2- أطروحة ماكس شيلر** Max Scheler (1874-1928): يؤكد الفيلسوف الألماني شيلر، على خلاف مالبرانش، أن معرفة الغير ممكنة، لكن شريطة الوعي بأنه ليس عبارة عن مستويين متعارضين أحدهما داخلي وثانيهما خارجي. فالغير وحدة متكاملة يعبر فيها الخارج عن الداخل؛ وبذلك فإن ما يظهر على الغير من علامات خارجية يعكس بالضرورة مشاعر داخلية مماثلة لها.

**3.2.2- أطروحة غاستون بيرجي** Gaston Berger (1896-1960) : يرى هذا الفيلسوف الفرنسي، الذي تخصص في شرح أعمال هوسرل، أن معرفة الذوات ببعضها البعض أمر عسيرة المنال ما دام أن لكل واحد عالمه الخاص الذي يتحصن بداخله ولا يسمح للغير باختراقه. وبالرغم من أن الحياة الواقعية تشهد بأن البشر يعيشون في جماعات أو مجتمعات، فإن عمق الوجود الإنساني لا يكمن في التجمع أو الاجتماع بل في الوحدة والعزلة.

**المحور الثالث : العلاقة مع الغير**

**1.3- الإشكال:**

* على أي أساس تقوم العلاقة بين الأنا والغير؟
* وأيهما يعكس حقيقة العلاقة بين البشر: الصداقة والحب أم الصراع والعنف؟

**2.3- الأطاريح:**

**1.3- أطروحة أرسطو**Aristote(422 -384 ق.م) : يرى الفيلسوف الإغريقي أن الصداقة بوصفها فضيلة أخلاقية يمكن أن تكون مبدأ محددا للعلاقة بين البشر. ويعضد ذلك بأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه ويحتاج بالضرورة إلى الأصدقاء، فالمال والجاه والقوة البدنية لا تغني الإنسان عن الأصدقاء. لكن أرسطو يميز بين ثلاثة أنواع من الصداقة: صداقة المنفعة، صداقة المتعة ثم صداقة الفضيلة. ويثمن الفيلسوف الإغريقي هذا النوع الأخير لأنه يقوم على المحبة الخالصة والتعاون الصادق ولا يتوقف على أي سبب عرضي زائل.

**2.3- أطروحة أوغست كونت**AugusteComte (1798-1857) : يعتبر هذا الفيلسوف الفرنسي، المؤسس للمذهب الوضعيPositivisme ، أن تنامي قيم الأنانية والتوحش في المجتمعات الحديثة لا يمكن أن يتراجع ما لم يتم ترسيخ مبدأ "الغيرية" في نفوس البشر، حيث يتوجب على كل شخص أن يدرك أن وجوده هو في العمق "وجود من أجل الغير". فالإنسانية تغدق على كل واحد منا، منذ ولادته وإلى حين مماته، خيرات لا تحصى؛ وعلى الإنسان أن يرد الجميل بأن يتجنب الأنانية التي زجت بالبشر في حروب وصراعات لا تنتهي، وأن يحب لغيره مثل ما يحب لنفسه أو أكثر، لأنه فقط بالحب والعطاء والغيرية يرتقي الكائن إلى مرتبة الإنسان.

**3.3- أطروحة ألكسندر كوجيف**Alexandre Kojève (1902-1968) : يرى هذا الفيلسوف الفرنسي، الروسي الأصل، أن العلاقة بين الأنا والغير لا تقوم على مبدأ الصداقة أو المحبة والغيرية، بل على مبدأ الهيمنة، كما قال فريديريك هيغل، حيث يسعى كل طرف إلى انتزاع الاعتراف به من الطرف الأخر. ولكن هذا الاعتراف لا يمنح بشكل سلمي، وإنما ينتزع عبر صراع يخاطر فيه الطرفان مها بحياتهما حتى الموت؛ غير أن الموت الفعلي من منظور كوجيف لا يحقق هذا الاعتراف، وإنما يحققه استسلام أحد الطرفين بتفضيله للحياة على الموت، وبذلك تنشأ العلاقة الإنسانية الأولى: علاقة السيد بالعبد، وهي العلاقة المولدة للأنا (وعي الذات) والغير (وعي ذات الأخر) في آن واحد، وهي المحركة للتاريخ البشري.

**خلاصة** **عامة** :

**عالجنا في هذا الدرس ثلاثة إشكالات يطرحها علينا مفهوم الغير، وهي تتعلق على التوالي بوجود الغير وبمعرفته ثم بالعلاقة معه. أما فيما يتعلق بإشكال وجود الغير، فقد وجدنا أن أطاريح الفلاسفة تتراوح بين إنكار أهمية وجود الغير والنظر إليه كمجرد وجود عرضي لا يؤثر على وجود الأنا (ديكارت)، وبين اعتبار الغير مكونا أساسيا لوعي الذات بوجودها وبوجود العالم الموضوعي (هوسرل)، وبين اعتبار الغير "أنا آخر" ضروريا حتى ولو كان وجوده يحد من حرية الأنا (سارتر)، وبين نفي أن يكون الغير مجرد ذات أو موضوع، واعتباره "عالما ممكنا" يدعونا إلى اكتشافه (دولوز/غاتاري). وأما فيما يتعلق بإشكال معرفة الغير، فنجد أن الأطاريح الفلسفية تتراوح بين القول باستحالة معرفة الغير، وبأن كل معرفة مزعومة عن الغير لا تعدو أن تكون تخمينا ذاتيا (مالبرانش)، وبين القول بأن معرفة الغير ممكنة شريطة التخلي عن التمييز الميتافيزيقي بين الظاهر والباطن، أو الداخل والخارج، والنظر إلى الغير بوصفة وحدة متكاملة (شيلر)، وبين القول بأن معرفة الغير صعبة التحقق، عسيرة المنال، لأن للذات الإنسانية حديقتها السرية التي لا يستطيع أن يقتحمها أحد (بيرجي). وأما فيما يتعلق بإشكال العلاقة مع الغير، فنجد أن الأطاريح تتراوح بين القول بأن الأنا في حاجة إلى الغير لأن الإنسان اجتماعي بطبعه، وأن الصداقة هي المبدأ الذي يجب أن يحكم العلاقة بين البشر والجماعات الإنسانية (أرسطو)، وبين القول بأن تقدم ورخاء المجتمع الإنساني رهين بالتخلي عن الأنانية والتحلي بالغيرية (كونت)، وبين القول بأن العلاقة الطبيعية والتاريخية بين البشر هي علاقة الصراع، وأن الإنسان إما أن يكون سيدا وإما أن يكون عبدا، وأن ما سوى ذلك محض أماني وأوهام.**